٢٠

من أقاصيص الطبيعة

هِجْرَةُ الزَّرَازِيرْ



MEDLEVANT ميدليفانت



ما هي أقاصيص الطبيعة ؟
وكيف نفيد منها الفائدة المرجوّة ؟

هذه سلسلة من الكُتَيِّبات العلمية المتكاملة ، أعدّت خصيصاً للأطفال ما بين السابعة والثانية عشرة من العمر ، وغايتُها تقديم المادّة العلمية إليهم بلُغَةٍ قَصَصِيَّة شيِّقة ، مشفوعة برسوم ملوّنة جميلة ؛ مما يحبِّب إليهم هذه المادة العلمية ، ويجعلهم يتقبّلونها بقَبول حَسَن . .

وتتناول هذه السلسلة علومَ الحياة والعلومَ الطبيعية العامة ، بحيث تؤلف ، شيئاً فشيئاً ، مكتبةً للطفل غنيّةً ، يتعلّم فيها بكل يُسْرٍ خصائصَ صُنوفٍ من الحيوان والنبات ، وغير ذلك مما هو مسخَّر للبشر من طاقات الطبيعة ، وفوائدَها جميعاً للانسان .

كما تقصد هذه السلسلة كذلك إلى إغناء لغة الطفل ، بحيث يبلغ نهاية السلسلة وقد اكتَسَب أكثر من أَلفَيْ كلمة جديدة تعبّر عن خمسمئة فكرة أو مفهوم على الأقلّ ، وبذلك يزداد رصيده اللغوي والفكري ويتعمّق .

يقصّ كل كتاب على الطفل قصّةَ حيٍّ من الأحياء ، أو مظهر من مظاهر الطبيعة ، بأسلوب محبّب جذّاب ، ثم ينتهي بصفحة أو صفحتين تحويان نصاً علمياً بحتاً عن موضوع الكتيّب نفسه ، موجهاً إلى أولياء الطفل ومعلّميه ، كما تحويان تفسيراً موجزاً لأهم الكلمات أو العبارات الغريبة .

ولا يتمّ التوصّل إلى الفائدة المرجوّة من السلسلة ، إلا بمعونة الأولياء أو المعلّمين ، وذلك بإقامة حوار مع الطفل بعد قراءته للقصة . ويتناول هذا الحوار الإجابة على أسئلة الطفل التي ستكون — بلا شك — كثيرة متعدّدة ، بالاضافة إلى توجيه أسئلة للطفل للتأكد من تعلّم الطفل للمفردات والأفكار الجديدة ، والتحقّق من استيعابه للمعلومات العلمية التي تلخّصها الأسئلة المدرجة في نهاية الكرّاس العملي .

وبهذا التكامل يكون الطفل في أواخر مرحلته الابتدائية من التعليم وأوائل مرحلته الإعدادية ، قد استوعب جزءاً مهماً من المادة العلمية التي يدرسها في مقررات العلوم العامة وعلوم الأحياء .

راجع النص : الدكتور محمد هيثم الخياط
Edited by: M.H. Khayat
Author: M. Dawson
Illustrator: D. Casoni

ISBN 88 - 7674 - 061 - 9

Corso Elvezia 4
CH - 6900 Lugano, Switzerland

First published 1983 الطبعة الأولى
Reprinted 1985 الطبعة الثانية
Reprinted 1986 الطبعة الثالثة

هِجرَة الزَّرازيرْ





زَغْرَدَ الأَبَوانِ عِنْدَمَا فَقَسَتْ بُيُوضُهُمَا الأَرْبَعُ.. وَسَرْعَانَ ما آنْصَرَفَا إِلىٰ جَلْبِ الطَّعَامِ إِلىٰ فِرَاخِهِمَا الجَائِعَةِ.. نَسِيَا كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ نَفْسَيْهِمَا وَلَمْ يَعُودَا يَذْكُرَانِ سِوَىٰ هٰذِهِ الفِرَاخَ الجِيَاعَ.. المَفْتُوحَةَ المَنَاقِيرِ دَائِماً تَطْلُبُ المَزِيدَ.. وَهُمَا يَقُومَانِ بِتَزْقِيمِهَا باستمرار بِمَا يَأْتِيَانِ بِهِ مِنْ حَبٍّ وَحَشَرَاتٍ وَدِيْدَانٍ.





قَالَتِ الزُّرْزُورَةُ الأُمُّ: «تَعَالَ يا صَغِيرِيْ وَلا تَخَفْ، فَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ الطَّيَرانَ كَإِخْوَتِكَ.. فَهٰذِهِ فِطْرَةُ اللهِ الَّتي فَطَرَكَ عَلَيْها، وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً!» وَنَظَرَ الفَرْخُ الصَّغِيرُ فَرَأَى الأَرْضَ بَعِيدَةً جِدّاً، وَلٰكِنَّهُ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ في الفَضَاءِ.



خَفَقَ بِجَنَاحَيْهِ بِخَوْفٍ وَٱرْتِبَاكٍ، وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يَدُمْ إِلَّا ثَانِيَةً وَاحِدَةً، وَبَعْدَهَا وَجَدَ نَفْسَهُ يَسْبَحُ فِي الفَضَاءِ وَيُحَلِّقُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ.. وَمَا لَبِثَ أَنْ أَحَسَّ بِرَوْعَةِ الحُرِّيَةِ وَأَخَذَ يُرَفْرِفُ وَهُوَ يَقُولُ: «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ!»



شَعَرَ الفَرْخُ الصَّغيرُ بِشَيْءٍ يَسْقُطُ علىٰ مِنْقَارِهِ.. أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَفَتَحَهُمَا فَتَكَرَّرَ ذٰلِكَ.. فسَأَلَ أُمَّهُ: «عَجَباً.. ما هٰذا يا أُمَّاه؟» وَقَبْلَ أَنْ تُجيبَهُ رَأَىٰ قِطَعاً صَغِيرَةً بَيْضَاءَ تَتَسَاقَطُ مِنَ السَّمَاءِ.. فَتَبَسَّمَتِ الزُّرْزُورَةُ ضَاحِكَةً مِنْ قَوْلِهِ وَقَالَتْ: «إِنَّهُ الثَّلْجُ يا بُنَيَّ.. وَهُوَ إِيْذَانٌ بِأَنَّهُ قَدْ حَانَ وَقْتُ رِحْلَتِنَا الطَّوِيلَةِ إِلىٰ بِلَادِ الدِّفْءِ والشَّمْسِ».





هُرِعَ الأَبَوانِ إلىٰ العُشِّ تَتْبَعُهُمَا الزَّرازِيرُ الصِّغَارِ.. وَعَمِلَا بِسُرْعَةٍ وَإِتْقَانٍ في تَرْتِيبِهِ وَالاَسْتِعْدَادِ لِلرِّحْلَةِ.. إِنَّهُمَا سَيَعُودَانِ إِلَيْهِ في العَامِ القَادِمِ.. أَمَّا الآنَ فَعَلىٰ الأُسْرَةِ أَنْ تَقُومَ مَعَ سَائِرِ الزَّرَازِيرِ بِتَأْلِيفِ أَسْرَابٍ ضَخْمَةٍ، تَطِيرُ فَوْقَ البَرِّ والبَحْرِ قَاصِدَةً أَرْضاً يَغْمُرُهَا الدِّفْءُ وَتَسْطَعُ فِيْهَا الشَّمْسُ..





يَالَهَا مِنْ رِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ ! طَارَتِ الزَرَازِيرُ لَيَالِيَ وأَيَّاماً تَسْلُكُ سُبُلَ رَبِّهَا ذُلُلاً .. وَكَأَنَّما سُخِّرَتْ لَهَا الشَّمْسُ تُرْشِدُها في النَّهَارِ .. وَسُخِّرَتْ لَهَا النُّجُوْمُ لِتَهْتَدِيَ بِهَا في ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ ..



وَأَحَسَّ فَرْخُنَا الصَغِيرُ بِالتَّعَبِ ، وَلٰكِنَّ شَيْئاً في دَاخِلِهِ كانَ يَدْفَعُهُ إلىٰ الاْستِمْرارِ ، وَيُشَجِّعُهُ علىٰ المُثَابَرَةِ ، وَيُثَبِّتُهُ على مُوَاصَلَةِ الطَيَرَانِ .. وَكانَ لَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ المُهَاجِرِينَ مَعَهُ خَيرُ مُعِينٍ ..



حَتّٰى إِذَا أَتَوْا علىٰ أَرْضٍ قَدْ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ شَعَرَ بِالجُوْعِ فَالْتَفَتَ إِلىٰ إِخْوَتِهِ وَنَادَاهُمْ: «أَلا تَأْكُلُونَ؟» وَسرْعَانَ مَا لَبّٰى الإِخْوَةُ نِدَاءَهُ وَهَبَطُوا نَحْوَ الحَقْلِ وَلٰكِنَّهُمْ سَمِعُوا أُمَّهُمْ تَصِيحُ بِهِمْ: «حَذَارِ!»



كادَ الفَرْخُ يقَعُ في شَبَكَةِ الصيَّادِ لَوْلَا أَنْ تَدارَكهُ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ .. فَحلَّقَ وَهُوَ يَخْفِقُ بِجَنَاحَيْهِ بِقُوَّةٍ .. وَأَخذَتْ أُمُّهُ تُهدِّىءُ مِنْ رَوْعِهِ وَتَقُولُ له : «لَا تَخَفْ ! نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ! »



وَلٰكِنَّ الخَطَرَ لَمْ يَنْتَهِ بَعْدُ.. فَقَدِ ٱمْتَلأَ الجَوُّ مِنْ حَوْلِهِ بِطَلَقَاتٍ نَارِيَّةٍ لَمْ يَسْمَعْ مِثْلَهَا في حَيَاتِهِ.. فَهَتَفَتْ أُمُّهُ بِهَلَعٍ: «اِرْتَفِعْ! حَلِّقْ في الأَعَالي وَلَنْ تُصَابَ بِأَذىً إِنْ شَاءَ الله.. فَهَؤُلَاءِ هُمُ الصَّيَّادُونَ.. وَهُمْ مَخْلُوقَاتٌ عَجِيبَةٌ يَكْمُنُونَ لَنَا في كُلِّ عَامٍ بِشِبَاكِهِمْ وَبَنَادِقِهِمْ.. وَسَأَدُلُّكَ عَلَى مَكَانٍ أَمِينٍ نَتَوَقَّفُ فِيهِ كُلَّ عَامٍ، وَأُقَدِّمُكَ إِلىٰ صَدِيقٍ أَعْرِفُهُ مِنْ زَمَانٍ..





لَمْ يَكُنِ الصَدِيقُ سِوَىٰ الفَزَّاعَةِ الَّتي يَنْصُبُهَا الزُّرَّاعُ لِيُخِيفُوْا بِهَا الطَّيْر.. قَالَتْ مُرَحِّبَةً عِنْدَمَا رَأَتْهُمْ: «أَهْلاً بِكُمْ وَسَهْلاً! لَقَدِ ٱشْتَقْتُ لَكُمْ.. تَعَالَوْا وَكُلُوا مَا طابَ لَكُمْ!»

قَالَ الفَرْخُ: «عَجَباً.. وَكَيْفَ تَسْمَحِينَ لَنَا بِأَنْ نَأْكُلَ مِمَّا تَحْرُسِينَ؟»

قَالَتْ: «لَقَدْ سَمَحَ لي صَاحِبُ الحَقْلِ بِإِطْعَامِكُمْ، فَأَنْتُمْ مِنْ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ.. فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً!»





أَكَلَتِ الزَّرَازِيرُ مَا طَابَ لَهَا وَتَزَوَّدَتْ لِلْمَرْحَلَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ سَفَرِهَا.. وَعِنْدَمَا آنْتَهَتِ الرِّحْلَةُ الطَّوِيلَةُ قَالَتِ الأُمُّ: «هَا قَدْ وَصَلْنَا أَخِيراً فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَىٰ السَّلَامَةِ! وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَعِيشَ المَرْءُ فِي صَيْفٍ مُسْتَمِرٍّ، حَيْثُ الطَّعَامُ وَافِرٌ وَالدِّفْءُ دَائِمٌ!»

هَزَّ الزُّرْزُورُ الآبْنُ رَأْسَهُ مُوَافِقاً.. وَكَانَتْ تَغْمُرُهُ السَّعَادَةُ، فَقَدْ عَثَرَ عَلَىٰ رَفِيقَةِ العُمُرِ وَجَلَسَ إِلَيْهَا يَحْلُمَانِ بِالعُشِّ الَّذِي سَيَبْنِيَانِهِ مَعاً..



هِجْرَةُ الطُيُورْ

هذا سِرٌّ من أسرار اللّه الذي أعطى كلَّ شيء خَلْقَه ثم هَدَىٰ، يَحَار العقل في تفسيره. فكثيراً ما نشاهد الطير فوقَنا صافّات (أي باسطاتٍ أجْنِحَتَهُنَّ) في جَوِّ السماء، مُهَاجِرات من الشمال إلى الجنوب أو من الجنوب إلى الشمال. ولا يعلم أحد سَبَبَ ذلك ولا منشأه! أكانت تعيش مِنْ قَبْلُ في الشمال ثم أجبرها العصر الجليدي على الفِرار منه في الشتاء لتعود في الربيع؟ أم كانت تعيش في خط الاستواء ثم دَفَعَتْ بها زَحْمَة العيش إلى الهجرة إلى الشمال ولكنها بقيت لا تحتمل برد الشتاء فتعود إلى مناطق الدفء في هذا الفصل القارس؟ اللّه أعلم!

ولكن الذي يهمّنا أن الطيور تُهاجر، وأن هذه الهجرة مغروسة في فِطْرَتِها التي فَطَرَها اللّه عليها.. فالطَيْر الذي فَقَسَتْ عنه البيضة منذ عهد قريب يهاجر مِثْلَمَا تهاجر الطيور الخبيرة التي ذهبت وعادت مراراً. فتبارك اللّه أحكم الحاكمين.

ولكن كيف تَتَدَبَّر الطيور أمرها بحيث تعرف جيداً كيف تسافر؟ هذا أيضاً سرٌّ من أسرار الكون، ولا شك في أن الأمر قد يختلف من طير إلى آخر.. وقد يكون ذلك بفضل مقدرة الطير الممتازة على النظر، ممّا يمكّنها من متابعة معالم الأرض، كسلاسل الجبال والبحيرات والشواطىء والأنهار عندما تهاجر. ولكن الطير يهتدي أولَ مرة كما يهتدي المسافر مراراً.. ثم إن طيور البطريق، على الرغم من قصر نظرها تستطيع أن تقوم برحلة العودة إلىٰ أعشاشها في السنة السابعة وأن تَجِدَها ثانيةً ولو كانت مُغَطّاةً بنصف متر من الثلج.

فهل هو موقع الشمس الذي يساعد هذه الطيور.. لا شك في ذلك بالنسبة لبعض الطيور على الأقل. ثم إن الطيور تستطيع تحديد موقعها بدقة بالنسبة إلى نقطة الانطلاق، مما يدلّ على أن لهن ساعات حيوية داخلية مضبوطة تماماً، تمكّنهنَّ من القيام بصورة غريزية بما يحتاج الإنسان للقيام به إلى استعمال آلات قياس ارتفاع الأجرام السماوية أو السِدْسِيَّة أو ما شابه. ثم إن الطيور التي تسافر ليلاً. تستعين في مَسْراها بالنجوم، أو ببعضها على الأقل لكي تهتدي بها في رحيلها.. قد يكون كل ذلك صحيحاً، ولكن لماذا لا تتوقف الطيور عن الهجرة في الأيام الغائمة؟

ويرى بعض العلماء الذين يدرسون هذه الهجرة، أن الطيور تستطيع بشكلٍ ما، أن تستخدم المجال المغناطيسي للأرض لكي تجد طريقها. وقد قادهم إلى هذا الاعتقاد تجارب عديدة تُحَمَّل فيها الطيور قِطَعاً مغناطيسية يمكنها أن تُعَدِّل المجال المغناطيسي الجوي، ومن ثم تترك لتعثر على طريق هجرتها.

وبعد، فإن بعض الطيور كالخَرْشَنَة القطبيّة تسافر مسافات شاسعة. وغيرها كالسُمَّن المُغَرِّد والزرازير تهاجر من المناطق الشمالية إلى مناطق أكثر اعتدالاً في الشتاء. والكثير من طيور البحر كطائر البطرس تطير فوق المحيط في أثناء العام، وتعود في كل ربيع إلى نفس العش دون خطأ. وقد يهاجر بعض الطيور لتدارك حاجته من الطعام، لكن بعض الطيور تبدأهجرتها قبل أن يصبح الطعام نادراً.

ومهما يكن من أمر، فإن الهجرة ليست سهلة. إذ لا يقوم برحلة العودة أكثر من نصف الطيور. ذلك أن الظروف الطبيعية كالضباب والعواصف والرياح، فضلاً عن التعب، كلها تفرض غرامتها على الطيور بالاضافة إلى الأخطار الحديثة من صيّادين وأبنية شاهقة وطائرات.

وأخيراً فإنه لَيَصْعُب علينا أن نقرر أيهما يحيا حياة أقسىٰ: الطيور المهاجرة أم العلماء الذين يدرسون هذه الطيور!

غريبُ المفردات

زَغْــرَدَ : صاح بفَرَح

فَقَسَتْ البيوض : انفتحت وخرجت منها الفِراخ

تزقيمهـــا : تَلْقيمها الطعام من فمٍ لِفَم

فِطْـــرة : خِلْقَة

خـفــــق : حرّك جناحيه

ارتبـــاك : اضطراب وحيرة

يـحلّـــق : يرتفع في طَيَرانه

يـرفــرف : يبسط جناحيه ويحرّكهما

أوزعنـــي : أَلْهَمْني

إيـــذان : إعـلام

هُـــرِع : أســـرع

أســـراب : مجموعات من الطير

ذُلُـــلا : هيّنة سهلة مُيَسَّرة

سُـخِّرَتْ لـه : جُعِلَتْ تحت تَصَرُّفه

حبّ الحصيـد : حبْ القمح المحصود

تـداركـه : لحقه وتَبِعه

رَوْعِـــه : فَزَعِه وخوفه

بِهَلَـــع : بجَزَع وفَزَع

الـفزّاعـــة : تمثال من الخِرَق والعيدان لتخويف الطيور في البستان

أبـنـاء السبيل : المسافرون الذين انقطعوا عن بلادهم

الـحَـــلال : ما أباحه الله ولم يُحَرِّمه

الـطيّـــب : عكس الخبيث

ISBN 88-7674-061-9

